أدلَّة حُرمة

الأغاني والمعازف

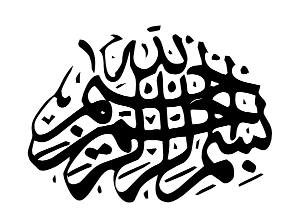
وأنَّها من

كبائِر الذُّنوب

مستل من دروس الشّيخ

عبدالله بن مرعي بن بريك العدني

-حفظه اللّه تعالى-



قال الشّيخ عبدالله بن مرعي بن بريك العدني –حفظه اللّه تعالى- في شرحه على [المنظومة اللاّميّة لابن الوردي (المجلس01)] :

فلمّا كان زمان المؤلِّف –رحمه اللّه- والمؤلِّف ،كان في القرن السَّابع ؛يعني في وقت حصل فيه ضعف للمسلمين في تلك الفترة ،وانتشر عدد من المخالفات والمعاصي ،ومن ذلك الأغاني والغزليات ،فإنَّه ممّا انتشر في ذاك الزَّمان .

فلذلك ابتدأ –رحمه اللّه تعالى- بالتَّحذير من الأغاني والغزل في أوَّل ما يذكره من هذه الأبيات في هذه المنظومة .

وكما تقدَّم ،الإنسان إذا حفظ مثل هذه الكلمات كانت هذه كالواعظات تجري في لسانه ،وتضرب على قلبه ،فتؤثِّر فيه ،فلمّا يُحفَّظ الصَّغير الذي كان على الفِطرة مثل هذه الأبيات ،فإذا بدأ ينحرف بسبب رُفقاء السُّوء أو غيرهم ،ويميل إلى الغنا والأغاني ،ومجالسة أهله ،والغزل ونحوه ،فإنَّ مثل هذه الأبيات لا شكّ ستُؤَثِّر فيه ،وتكون حجَّة عليه .

وتحريم الأغاني قد جاء ذكره في كتاب اللّه –عز وجلّ- ،وفي سُنَّة رسول اللّه ﷺ .

فقد جاء عن عددٍ من الصَّحابة[1] والتَّابعين[2] في تفسير قول اللّه تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ [لقمان: 6] أنَّهُ الغناء .

وكذلك في تفسير قول اللّه –عز وجلّ- في استفزاز الشَّيْطان للإنسان ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ [الإسراء: 64] ،قالوا صوت الشّيْطان هو الغِناء والمعازف[3] .

وهكذا ،صحَّ عن النبيّ ﷺ في [البخاري] معلّقاً ،ووُصِلَ في خارج [الصَّحيح] :« ليكونَنَّ أقوامٌ من أمَّتِي يستَحِلُّون الحِرَّ والحَريرْ والخمر والمعازف » أي :يُعاملونه معاملة الحلال وهو حرام .

فأفاد الحديث –أوّلاً- أنَّهُ يحرُم هذا المذكور ،بل وأنَّ هذا المذكور من أشدّ المحرَّمات ،ولهذا قُرنَ هذه الثَّلاث مع بعض « ليكونَنَّ أقوامٌ من أمَّتِي يستَحِلُّون الحِرَى والحَريرْ والخمر والمعازف »[4] قُرنَ مع المعازف الحِرَّ ؛أي الزنا ،والحرير وهو لِبسُ الحرير للرِّجال لأنَّهُ سببٌ لأحد أمريْن إثنيْن :

1- إمَّا البطر والخُيَلاء ،وهذا من كبائِر الذُّنوب ،وهو يُفضِي إلى

1- **قال الطّبري في [تفسيره] :حدثنا عمرو بن علي، قال: ثنا صفوان بن عيسى، قال: أخبرنا حميد الخراط، عن عمار، عن سعيد بن جبير، عن أبي الصهباء، أنه سأل ابن مسعود عن قول اللّه** ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ [لقمان: 6] **قال :الغناء .**

وذكر نحوه عن عدد من الصحابة كـ:ابن عبّاس ،وجابر .

2- **قال الطّبري في [تفسيره] :حدثنا ابن بشار، وابن المثنى، قالا: ثنا عبدالرحمن، قال: ثنا سفيان، عن حبيب، عن مجاهد،** ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ [لقمان: 6] **قال :الغناء .**

وذكر نحوه عن عدد من التّابعين كـ :عكرمة .

3- **روى الطبري في [تفسيره] بسند جيّد ،قال :حدثنا أبو كريب ،قال: ثنا ابن إدريس ،عن ليث ،عن مجاهد ،في قوله** ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ ﴾ [الإسراء: 64] **قال :باللّهو والغناء .**

4- **أخرجه البخاري في [صحيحه (5590)] عن أبي مالك الأشعري .**

الكِبر وعلامة عليه .

2- أو يُفضِي إلى التخنُّث والميوعَة ،لأنَّ الحرير ناعم بطبعِه .

ولا يميل إليه إلاَّ أحد هذين الرّجلين ؛إمّا رجل عنده من الكِبر والخُيَلاء ما يُحب أن يلبس أغلى اللِّباس ،والحرير أغلى اللِّباس وأفخره ،وإمّا عنده شيء من الأنوثة فيميل إلى هذه الليونة التي في هذا الحرير .

وكِلا الأمرين من أكبر الكبائِر ،وقد صحَّ عن النبي ﷺ في حديث عائِشَة وغيرها وهو صحيح :« أنَّهُ لعن المتخنِّثِين من الرِّجال والمترجِّلات من النِّساء » [5] ،وفي الحديث الآخر :« لعن الرَّجل يلبس لِبْسَة المرأة والمرأة تلبس لِبْسَة الرَّجل » [6] .

والحرير من لِبْسَة النِّساء ،فلِبسُ الرَّجل لها سببٌ للَّعن ،واللّعن الطَّرد من رحمة اللّه ،فدلَّ أنَّ هذا من كبائِر الذُّنوب ،فالزنا من كبائِر الذّنوب ،ولِبس الحرير من كبائِر الذُّنوب .

وكذلك الخمر ؛شرب الخمر من كبائر الذّنوب ،وقد سمّاه النبي ﷺ كما جاء في الحديث الذي يُحَسِّنُه جماعة من أهل العلم :« أنَّه أمّ الخبائِثْ » [7] وهو مفتاح وجامع لحصول الخبائِثْ ،ولهذا

5- أخرجه البخاري في [صحيحه (5886)] عن عبداللّه بن عبّاس .

6- أخرجه أبو داود في [السّنن (4098)] ،وابن ماجة في [السّنن (1903)] ،وأحمد في [المسند (8309)] عن أبي هريرة .

7- لم أقف عليه عن رسول اللّه ﷺ لقلّة بضاعتي ،لكن ثبت موقوفاً عن الخليفة الرّاشد عثمان بن عفّان –رضي اللّه عنه- كما جاء في [مصنف عبدالرزاق (16070)] ،واللّه أعلم .

مجتمع ينشر فيه شرب الخمر واستعمال المخدِّرات مجتمع ساقِط ،منحلّ .

إذا انتشرت هذه الخبائِثْ (المخدِّرات والخمور) فلا تسأل عن الفساد الذي يقَع في المجتمع ،فالرَّذيلة تنشتر ،والفاحشة ،والفساد ،وتحلُّل الأسرة ،والضَّياع ،وكلّ شيء من الشرّ والفساد ينتشر لأنَّ الإنسان يكون في غاية من السُّقوط والانحراف عن معاني الاستقامة وغيرها ،ولهذا صار شربُ الخمر من أكبر الكبائِر ،ومن –كذلك- أمّ الخبائِثْ .

وكذلك ،الرّابع ؛وهو الذي قُرنَت معه هذه الكبائِر الثَّلاث ،هو من الكبائِر -على الصَّحيح- بدلالة الاقتران التي ذُكِرَت في هذا الحديث ؛فالمعازف من الكبائِر –على الصَّحيح- من أقوال أهل العلم وليس من الصَّغائِر .

فاستعمال المعازف ،والاستماع للغنا من كبائِر الذُّنوب ،وليس من صغائِر الذُّنوب ،وكبائِر الذُّنوب شأنُها عظيم في كتاب اللّه ،وفي سُنَّة رسول اللّه ﷺ .

والدّليل من كتاب اللّه ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ ﴾ [النجم: 32] .

وكذلك ،في الأحاديث ؛قول النبي ﷺ :« الصَّلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان والعُمرَة إلى العُمرَة كفّارة لِما بينهنَّ إذا اجتُنِبَت الكبائِر » (8) .

8- رواه مسلم في [صحيحه (233)] عن أبي هريرة .

فعُلِمَ أنَّ هذه الكبائِر لا تُكفِّرُها هذه الأعمال الصَّالحة ،بل إذا كانت عندك هذه الكبائِر ،حتَّى الصَّغائِر ،لا تُغفر لك ،ولو فعلت هذه الأعمال الصَّالحة .

فمن شرط مغفرة الصَّغائِر بالأعمال الصَّالحة ترك الكبائِر ،فهذا يدلّ على عِظم أمر الكبائِر .

فالأغاني والمعازف ،وأعظم منه « الغَزل » ؛الغزل مسلَك من مسالِك أهل الغِنا والمعازف ،يسلكون الغزليات .

كانت الغزليات في الزّمن القديم نوع من الشِّعر ،يقولونه ويحدُونهُ ،وصارت بعد ذلك أوسع من الشِّعر ،صارت كلمات ،وصارت رُسوم ،وصارت تماثيل ،وتطوَّرَت في العصر الحديث وصارت أفلام رومنسية –كما يقولون- ،ثمَّ تدرَّجوا حتّى صارت الأفلام الإباحيَّة ،وهذا من خطوات الشَّيْطان !

انظروا ماذا بدأ ،الغِنا بريد معاصي أكبر منه ،ولهذا قال العلماء :« المعاصي بريد الكُفر » [9] **تتدرَّج بك خُطوة خطوة حتّى تخرُج من دين اللّه سبحانه وتعالى !**

هذا الذي يسترسِل في الأغاني والمعازف ،و-كذلك- في الغَزَلْ والعِشْق ،وما كان معه ،هل يقِف عند حدّ ؟ ما يَقِف عند حَدّ ،الشَّيْطان لا يزال به ،يسمع كلّ الأغاني ،انظُر بعض النّاس ! يسمع الأغاني العربيَّة حتّى يتعب ،بعدها يدخل في الأغاني

9- قال ابن القيّم –رحمه اللّه- في [الجواب الكافي (ص129)] :« قال بعض السّلف :المعاصي بريد الكفر ،كما أن القُبلَة بريد الجماع ،والغناء بريد الزنا ،والنظر بريد العشق ،والمرض بريد الموت » ا.هـ.

الأجنبيَّة ،ما يفهم ،بعض النّاس يسمع بأغاني لغات ،ما يفهمها والله ،أوقفنا بعض الشَّباب وهم في غاية من السُّكر مع الغنا ؛بهذا الغناء الأعجمي ! ماذا تفهم ممّا يقول ؟ قال :« لا أفهم شيء » ،طيب ،ليش تسمع ؟ايش تسمع ؟قال :« خلاص ،تعوّدنا ،ادعو اللّه أن يهدينا » .

يعني :يصير الإنسان عنده مثل السُّكر والإدمان ،ينتقل من شيء إلى شيء إلى شيء إلى أن يَصِلْ في الأخير إلى الكُفر .

قد يقول قائِل :لا تبالغ ! كيف يَصِل إلى الكُفر ؟

يَصِل إلى الكُفر لأنَّ القلب يمتلئ بالغيّ ،عند ذلك لا يكون هناك مكان لذِكر اللّه ،ولذلك تَجِد أكثر من يُدمن الأغاني تارك للصَّلاة ،وهو أوّل الكُفر ! والنبي –عليه الصَّلاة والسَّلام- يقول :« بين الرّجل وبين الشِّرك والكُفر ترك الصَّلاة » كما في حديث جابر في [صحيح مسلم] [10] .

وفي حديث بُريْدة في [مسند الإمام أحمد] وعند أبي داود وغيره بإسناد صحيح :« العهد الذي بيننا وبينهم الصَّلاة فمن تركها فقد كفر » [11] .

وما أكثر من يتدرَّج في الأغاني ،والعِشْق ،وهذه السّلسلة التي لا تنتهي فتكون نهايته ترك الصَّلاة ،تتثقُل عليه الطّاعات ،يكون في البداية من أهل المساجد ،فيُرافق رُفقَة السُّوء ،ويدخل في هذه الدوّامة مع أهل الأغاني والمعازف والغزليات بأنواعها ،فإذا به يصير

10- رواه مسلم في [صحيحه (82)] .

11-رواه أحمد في [المسند (22987)] .

عليه أمر الطّاعات ثقيل ،فيترُك الصَّلاة ،ويرافق أهل الشرّ ،ويصِل به الأمر والعياذ باللّه أن يكون من أهل الكُفر باللّه سبحانه وتعالى ،بل بعضهم والعياذ باللّه قد يصِل به الأمر إلى الردَّة !

انظُروا إلى رجل يضرب به العلماء المثَل ؛وهو « عبداللّه القصيمي » كان ممَّن يكتُب ويُؤَلِّف ،وقد درس عند أهل العلم وصار يُشار إليه بالبنان ،في كتاباتِه ورُدودِه ،فسافر إلى بعض البلاد ،وخالط رُفقاء سوء ،وبمخالطتِه لرُفقاء السُّوء ،ولأنّه –كما قال بعض قُرنائِه- عنده الفضول ،يُحِبّ يدخل في كلّ شيء ،فرافق رُفقاء السُّوء حتّى تدرَّج في الفساد ،فوقع في الشرّ والفساد ،فخرج من دين الإسلام بسبب رُفقاء السُّوء ومخالطة أهل السُّوء ،ثمّ صار بدل ما كان يكتُب ويرُدّ على أهل الكُفر ،صار يرُدّ على أهل الإسلام ،ويقول – كما قال بعضهم- في كتاباته :« وهو مع البغايا يعني الزانيات والعياذ باللّه ! فيقول :« لن يدخل اللّه مثل هؤلاء الجميلات النّار » انظُر ،كيف انتكس هذه الانتكاسة العظيمة ،لأجل أن تعرف أنَّ القلوب ضعيفة ،والشَّهوات خطّافة ،فلا تُعَرِّضْ قلبَك للفِتَنْ ،فإنَّك ضعيف أمام الفِتن ،لكن اِحفظ نفسَك بطاعة اللّه ،وبلزوم طريق الاستِقامة ،وأهل الصَّلاح .

ولهذا كان أوَّل ما ابتدأ به لأنَّ الفتنة بها من أعظم الفتن .